الشخصية اليهودية فى مسرح كريستوفر مارلو *

إعداد

أ.د/عصام عبد العزيز عبد الله

أستاذ ورئيس قسم الدراما والنقد المسرحى- بالنعهد العالى للفنون المسرحية – أكاديمية الفنون

د/ أحمد فريد محمود

مدرس أصول التربية

كلية التربية النوعية جامعة المنصورة

د/ أحمد حسين محمد

أستاذ مساعد المسرح بقسم الإعلام التربوى

كلية التربية النوعية جامعة المنصورة

أ/ فرج عمر على فرج

المدرس المساعد بقسم الإعلام التربوى

كلية التربية النوعية بأشمون– جامعة المنوفية

مجلة بحوث التربية النوعية ـ جامعة المنصورة

عدد (٣١) ـ يوليو ٢٠١٣

* بحث مستل من رسالة دكتوراه

الشخصية اليهودية فى مسرح كريستوفر مارلو

إعداد

١.د/عصام عبد العزيز عبد الله*

د/أحمد حسين محمد**

د/أحمد فريد محمود***

أ/فرج عمر على فرج****

ملخص البحث:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على سمات الشخصية اليهودية كما عكستها مسرحية"يهودى مالطة"لكريستوفر مارلو، حيث دارت أحداث المسرحية حول شخصية اليهودى براباس الذى جمع ثروة طائلة من خلال عمله بالربا والتجارة، ولكن حاكم المدينة صادر كل أملاكه بسبب رفضه التبرع بنصف ثروته لتجهيز الجيش للدفاع عن المدينة، ولما كان براباس يتوقع هذا القرار فقد خبأ معظم أمواله ومجوهراته بعيداً عن الأعين . ورغم أنه نجا بمعظم أملاكه من المصادرة إلا أنه بدأ ينتقم من الجميع . وقام الباحث بتحليل مضمون هذا النص المسرحى وخرج بعدة نتائج أهمها:

- تعصب اليهود لجنسهم وغدرهم وأنانيتهم وجشعهم ليست صفات مستحدثة، ولكنها صفات قديمة ولاصقة باليهود منذ نشأتهم وحتى الآن .
- اليهود لا يتورعون فى استعمال الجنس – أى المرأة – للوصول إلى مآربهم . .
- اليهودى لا يقف فى سبيل تحقيق أهدافه وأطماعه أى عقبة من دين أو رحمة أو تقاليد أو أى مبدأ من المبادئ الإنسانية .
- يؤمن اليهودى إيماناً مطلقاً بنظرية الجنس السامى وأنه من سلالة سامية .
- من السمات المتأصلة فى اليهودى سمات : خيانة العهد والغدر الخداع والدهاء والمراوغة، البخل، الربا، عشق المال، الكذب، حب الذات، قسوة القلب وانعدام الرحمة، النفاق والتملق، أنه شيطان شرير، يعشق الفتنة وتدبير المكائد والوقيعة بين الناس، الجحود وعدم الوفاء حتى لأهله، الجبن، والرشوة والسرقة، المصلحتة الذاتية (الأنانية)، يكره المسيحيين والمسلمين بشكل عام ولا يثق فى الآخر .
- تعرض براباس إلى لون ما من ألوان الإضطهاد الممقوت لأقلية دينية، حيث تعرض

* أستاذ ورئيس قسم الدراما والنقد المسرحى- بالنعهد العالى للفنون المسرحية – أكاديمية الفنون

** أستاذ مساعد المسرح بقسم الإعلام التربوى - كلية التربية النوعية جامعة المنصورة

*** مدرس أصول التربية - كلية التربية النوعية جامعة المنصورة

**** مدرس المساعد بقسم الإعلام التربوى - كلية التربية النوعية بأشمون– جامعة المنوفية

- لمصادرة كل أملاكه من قبل حاكم المدينة لسبب اعتراضه على مطالبة سلطات المدينة أن يقوم اليهود - دون غيرهم - بدفع نصف ممتلكاتهم كضرائب للمدينة، وهذا يعد اضطهادا لأقليات دينية أيضاً . وأوصت الدراسة القائمين على إدارة شئون البلاد بالإهتمام ببناء عقول المواطنين عن طريق تقديم فكر راقٍ وابداع حقيقى، والبعد عن تقديم الثقافة السطحية المبتذلة ؛ لأنها نوع من الإسراف لا مبرر له، كما توصى بتوعية المواطنين بأبعاد الشخصية اليهودية الحقيقية، ليعرفوا عدوهم الأول والأساسى فى هذا العصر .

الشخصية اليهودية فى مسرح كريستوفر مارلو

إعداد

أ.د/عصام عبد العزيز عبد الله *

د/أحمد حسين محمد **

د/أحمد فريد محمود ***

أ/فرج عمر على فرج ****

مقدمه :

لن يجد المتابع لتاريخ اليهود أية صعوبة فى اكتشاف حقيقة أنهم عانوا من الإضطهاد ونبذ الجميع لهم فى كل زمان وفى كل مكان عاشوا فيه، ولن يجهد تفكيره أيضاً فى معرفة السبب، لأن هذا الإضطهاد وهذا النبذ ليس من فراغ، بل هو رد فعل طبيعى تجاه أفعال وعقول هؤلاء اليهود الذين يعتقدون أنهم شعب الله المختار ؛ لذلك فإن صفاتهم وتصرفاتهم تتسم بالفساد والفسق والفجور؛"فهم لم يتأقلموا طوال تاريخ تواجدهم – مع البلاد التى أخذوها موطناً لهم"[١] . وهذا الإضطهاد جعل اليهود لا يستقرون فى مكان، وبالرغم من هذا لم يحاولوا أن يغيروا من أنفسهم، واستمروا فى أفعالهم اللاإنسانية، وراحوا يمارسون الغدر والمكائد والربا والفسق والفجور وامتصاص ثروات الشعوب . والدراما المسرحية تقدم نماذج مختلفة من الشخصيات والموضوعات المختلفة، وهذا التقديم قد يكون إيجابيا أو سلبيا مما يساهم فى خلق صورة ذهنية أو إنطباعا معينا لدى جمهور المسرح عن الشخصيات أو الموضوعات، ومن بين الشخصيات التى تعرض لها المسرح بالوصف والتحليل الشخصية اليهودية، ولما كانت هذه الشخصية مثار جدل دائم وأزلى فإن التصدى لها بالدراسة من خلال المسرح قد يكون حلاً لهذه الإشكالية عند الكثيرين خاصة عندما نتعرف على سمات هذه الشخصية ونرصد المشكلات الخاصة بها، وأحلامها المشروعة وغير المشروعة . واختار الباحث مسرحية يهودى مالطة - للكاتب الإنجليزى الشهير كريستوفر مارلو - لأنها تُعد واحدة من أشهر مسرحيتين تناولتا الشخصية اليهودية عبر التاريخ مع مسرحية"تاجر البندقية"لشكسبير، بالإضافة إلى أن هذه المسرحية تمت كتابتها فى القرن السادس عشر عقب"دخول اليهود إلى أوربا فى أعقاب نكسة الأندلس ولجوء بعضهم إلى بعض الأقطار الأوربية"[٢]، مما قد يعطينا تأكيدًا أو نفيًا للصورة الذهنية الموجودة لدينا عن شخصية اليهودى فى عصرنا الراهن .

---

* أستاذ ورئيس قسم الدراما والنقد المسرحى- بالنعهد العالى للفنون المسرحية – أكاديمية الفنون

** أستاذ مساعد المسرح بقسم الإعلام التربوى - كلية التربية النوعية جامعة المنصورة

*** مدرس أصول التربية - كلية التربية النوعية جامعة المنصورة

**** مدرس المساعد بقسم الإعلام التربوى - كلية التربية النوعية بأشمون– جامعة المنوفية

١ - مدحت أبوبكر : محاولات تهويد الإنسان المصرى، القاهرة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٧، ص ٦٤ .

٢ - عصام الدين محمد حسن : جسر العودة .. حقوق اللاجئين الفلسطينيين فى ظل مسارات التسوية، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ص ٢٦٣ .

مشكلة البحث

الفن بشكل عام و"المسرح بشكل خاص لا يمكن أن ينفصلا عن الواقع الذى يتواجدان فيه، (...) ولا يستطيع الفن أن يبقى بعيداً عن اضطرابات العصر الذى يرى فيه النور"(١) .

وعلى هذه الفرضية الواقعية إذا أردنا أن نتعرف على طبيعة شعب ما أو فئة من الفئات البشرية وعلاقتها ببعضها البعض فى مرحلة زمنية معينة فما علينا إلا أن نقوم بدراسة النصوص المسرحية المؤلفة أثناء تلك المرحلة، حيث سنجد فيها ما يرشدنا إلى الوقوف على الحقائق التاريخية الثابتة . ومن الفئات البشرية الجديرة بالدراسة وبالفحص والتحليل هم اليهود ؛ لأن اليهود ينظرون إلى أنفسهم بوصفهم شعب الله المختار، الذى اصطفاه الله من بين شعوب الأرض ليحمل رسالته، مفضلاً إياه على هذه الشعوب جميعاً . ومن هذا المنطلق فإن اليهودى لا يرغب فى الإندماج مع غير اليهودى، لذلك فهم يسعون إلى الإلتفاف والتقرب من بعضهم البعض، ويعملون جاهدين للسيطرة على كل البشرية، وهم من أجل ذلك لا يتورعون فى فعل أى شئ . فما هى هذه الأشياء ؟!، وماهى سماتهم الشخصية ؟!. وعليه فقد تبلورت مشكلة هذا البحث فى التعرف على طبيعة الشخصية اليهودية وعلاقتها مع الآخر وذلك من خلال تحليل المضمون لمسرحيته"يهودى مالطة"للكاتب الإنجليزى الشهير كريستوفر مارلو .

تساؤلات الدراسة :

تطرح هذه الدراسة عدة تساؤلات لعل أهمها :

- ماأهم سمات وخصائص الشخصية اليهودية كما صّورها مارلو ؟
- ما هى أهم المشاكل والقضايا التى يعانى منها المجتمع اليهودى ؟ .
- ما الأسباب المؤدية لطبيعة تلك الصورة ؟، وما هى نظرة المجتمع الأوربى لليهود ؟ .

أهمية الدراسة :

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها تتناول شخصية أثارت وما زالت تثير الجدل حولها ألا وهى شخصية اليهودى، ويرى الباحث أن هذه الدراسة ستعود بالنفع على الشباب المصرى بصفة خاصة والشباب العربى – بصفة عامة – وستزيد معرفتهم بهذه الشخصية المثيرة للجدل.

أهداف الدراسة :

١- الكشف عن أحوال اليهود، وتاريخهم، وأخلاقهم، وقبائحهم، معتمداً فى بيان ذلك كله على ما جاء عنهم فى مسرحية"يهودى مالطة". الأمر الذى سيعود بالنفع على الشباب العربى بصفة عامة، والشباب المصري بصفة خاصة .

٢- التعرف على طبيعة وسمات الشخصية اليهودية كما تعكسها المسرحية (عينة الدراسة) .

١- أحمد هاشم : المسرح الملحمى فى مصر (٤)، القاهرة، مجلة"أفاق المسرح"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد ١٢ يونية ١٩٩٩، ص ٢٧٣ .

الدراسات السابقة :

أولاً: الدراسات العربية:

١. دراسة : عبدالكريم قطب شحاته (٢٠٠٢) (١) : السمات اليهودية فى روايات سول بيلو وبرنارد مالامود:

هدفت هذه الدراسة إلى التركيز على الطريقة التى كتب بها الروائيون اليهود فى أمريكا شخصياتهم ومناقشة الموضوعات اليهودية، كذلك دراسة الطريقة التى قام بها الروائيان سول بيلو وبرنارد مالامود باستخدام هذا الفن لعرض القضايا اليهودية وإبداع نماذج من الشخصية اليهودية تختلف عن النموذج المعروف فى العصور الوسطى ٠ وتوصلت الدراسة إلى وجود هذه السمات اليهودية فى روايات بيلو ومالامود، وأنه من الضرورى بذل الجهد لمواجهة الدعاية اليهودية القائمة على حساب العرب والمسلمين غالباً .

٢- دراسة :فوزى إبراهيم عبد الهادى(١٩٨٨(٢):صورة اليهودى فى المسرح العربى فى مصر :

تناولت هذه الدراسة صورة الشخصية اليهودية كما عكستها الأعمال المسرحية المصرية خلال الفترة من ١٩٤٥حتى عام ١٩٨١، واستعرض الباحث فى دراسته تاريخ اليهود وتطور حياتهم وطرق وسبل حياتهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض من ناحية، وعلاقاتهم بالمجتمعات التى عاشوا فيها من ناحية أخرى. وقام بعملية تحليل لمضمون النصوص المسرحية – عينة الدراسة - . وتوصل إلى أن الشخصية اليهودية مكروهة من كل المجتمعات التى عاشت فيها، كما أظهرت النصوص المسرحية المختارة الشخصية اليهودية بصورة سيئة للغاية ؛ فهى شخصية طماعة وأنانية وحقودة وغدارة وغير مؤتمنة ومرابية وناقضة للعهود ومصلحتها فوق أى معايير إنسانية .

٣ - دراسة : محمد أحمد أحمد إسماعيل (٢٠٠٩)(٣) : تصوير الشخصية الإسرائيلية فى الدراما التليفزيونية المصرية _ الفترة ١٩٨٧- ٢٠٠٣ .

تناول الباحث فى دراسته خصائص الشخصية اليهودية كما صورتها الدراما التليفزيونية التى تعرضت للشخصية الإسرائيلية فى الفترة من ١٩٨٧ - ٢٠٠٣ من حيث التحليل الفكرى للجماعات اليهودية وهجرتهم لإسرائيل ثم التحليل التطبيقى للأعمال الدرامية فى محاولة لإكتشاف مواطن الضعف والقوة فى هذا التناول . وخرج الباحث من دراسته بعدة نتائج من أهمها : تنميط الشخصية الإسرائيلية فى معظم المسلسلات وكذلك فى المسلسل الواحد فنلاحظ تشابه

١- عبدالكريم قطب شحاته : السمات اليهودية فى روايات سول بيلو وبرنارد مالامود، رسالة ماجستير، ج.م.ع، جامعة المنيا، كلية الألسن، ٢٠٠٢ .

٢ - فوزى إبراهيم عبد الهادى الحاج : صورة اليهودى فى المسرح العربى فى مصر، رسالة دكتوراه، القاهرة، جامعة عين شمس، كلية الأداب، ١٩٨٨ .

٣- محمد أحمد أحمد إسماعيل :تصوير الشخصية الإسرائيلية فى الدراما التليفزيونية المصرية .. فى الفترة من ١٩٨٧ – ٢٠٠٣، رسالة دكتوراه، القاهرة، أكاديمية الفنون، المعهد العالى للنقد الفنى .

الخصائص الدرامية لكل الشخصيات (العناد – التعصب – الإنتهازية)، كما أظهرت المسلسلات – عينة الدراسة – الشخصية الإسرائيلية بصورة سيئة وسلبية .

٤ - دراسة : محمد عصام بهى (١٩٨٣)(١) : الشخصية الشريرة فى الأدب المسرحى

رصدت هذه الدراسة الشخصيات الشريرة فى الأدب المسرحى ومن ضمن هذه الشخصيات التى تطرقت إليها الدراسة الشخصية اليهودية، على اعتبار أن الشخصية اليهودية هى شخصية شريرة فى الأساس، حيث نرى نماذج كثيرة للشخصية اليهودية تناولها الباحث فى هذه الدراسة، فنجده قد تناول الشخصية اليهودية فى النصوص المسرحية :"إله إسرائيل"، "شيلوك الجديد"، "شعب الله المختار" لعلى أحمد باكثير، و فى النص المسرحى"اليهودى التائه"ليسرى الجندى، والنص المسرحى"يهودى مالطة"لمارلو . وتوصلت الدراسة إلى أن مسرح عصر النهضة الأوربية – بعامة – والمسرح الإليزابيثى فى إنجلترا – بخاصة – أدى الدور الحاسم فى هذا التحول من الشيطان، بوصفه الشخصية الشريرة الجاهزة، إلى الشيطان البشرى، ثم إلى النماذج الأخرى . وتوصلت الدراسة أيضاً أن المسرح المصرى – فى مراحله المختلفة – أفاد إفادة واسعة من التراث المسرحى العالمى، واقتبس نماذجه بعامة والنماذج الشريرة بخاصة .

٥- دراسة : محمد سيد طنطاوى (١٩٦٦ م)(٢) : بنو إسرائيل فى القرآن والسنة

تناولت هذه الدراسة الشخصية اليهودية كما جاءت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ حيث أوضحت الدراسة أن القرآن الكريم فى حديثه عن بنى إسرائيل يربط ربطاً محكماً بين طباع وأخلاق المعاصرين منهم للنبى (صلى الله عليه وسلم) وطباع وأخلاق آبائهم الأولين الذين عاصروا موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك ليبين أن ماعليه الأبناء من فسوق وعصيان ومحاربة لدعوة الإسلام إنما هو ميراث من الخلق السيئ توارثه الخلف من السلف وأخذه الأبناء عن الآباء . ومن الأدلة على صدق القرآن الكريم أن ما وصفهم به من صفات نراها فى كل زمان ومكان منطبقة عليهم، ولم تزدهم الأيام إلا رسوخاً فيها . وأكدت الدراسة أن اليهود هم المسئولون عن كل اضطهاد وقع بهم، وأنهم مستحقون لهذه العقوبات لأسباب من أهمها : أنانيتهم وأطماعهم التى لا حدود لها، فقد سوَلت لهم أنفسهم أن العالم ملك لهم بكل من فيه وما عليه، وأن عليهم متى حلوا فى أى دولة أن ينهبوا خيراتها بكل وسيلة، وأن يجمعوا أموالها بأى طريقة، فإن المال هو معبود اليهود من قديم الأزل . وبينت الدراسة أيضاً أن اليهود يعتبرون أنفسهم أبناء الله وأحباءه، وشعبه المختار .

---

١ - محمد عصام أحمد محمد بهى : الشخصية الشريرة فى الأدب المسرحى، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الأداب، قسم اللغة العربية، ١٩٨٣ .

٢ - محمد سيد طنطاوى : بنو إسرائيل فى القرآن والسنة، رسالة دكتوراة، القاهرة، جامعة الأزهر، ١٩٦٦ .

ثانياً : الدراسات الأجنبية :

١ – دراسة : جودزينسكى فرانسيس سكلامويتز (١٩٨٠)(١) : تصوير اليهود فى روايات بلزاك :

هذه الدراسة تتناول بالشرح والتحليل صورة اليهودى كما تناولها الكاتب"بلزاك"فى رواياته، فعلى عكس العديد من الكتاب فى القرن التاسع عشر فإن بلزاك يصور الشخصيات اليهودية فى رويا ته بصورة إيجابية ومثالية، ورسمها بشكل يناقض تماماً الصورة التى رسمتها لهم المؤلفات القديمة . وهذه الدراسة أوضحت أن بلزاك لا يرى عيباً فى اقتناص اليهودى للذهب وشغفه اقتنائه والحرص على جمع أكبر كمية منه ؛ لأن الذهب يمثل لليهودى الثروة التى تحدد مصير البشر، ويمثل النفوذ والقوة، كما أن بلزاك لا يرى فى مؤلفاته أى عيب فى عمل إقراض اليهودى المال للآخرين بالربا، ويعتبره نجاحاً لليهودى .

٢ – دراسة : دوكس دونالي.. (١٩٩٥) (٢) : اليهود فى الدراما الإنجليزية فى العصور الوسطى .

تتناول هذه الدراسة الشخصية اليهودية فى الدراما الإنجليزية أثناء العصور الوسطى، وركزت على مسرحية قام بتأليفها كاتب يدعى"ايست انجليان"، تحت اسم"القداس". وترصد هذه الدراسة فى أعمال درامية أخرى العنف الموجه ضد اليهود، واضطهاد الإنجليز لهم بسبب الإنحلال وسوء الأخلاق والفساد الذي كانوا يعيشون فيه هؤلاء اليهود . وتشير هذه الدراسة أيضاً إلى أن هناك بعض الروايات التى أظهرت اليهود بصورة حسنة، وخاصة الأعمال التى تناولت القرن الثالث عشر، واعتبرت أنهم رمز التشريع الإنجليزى فى عام ١٢٩٠، وكان لليهود فى هذه الفترة مكانة عالية فى المجتمع، وهناك بعض الأعمال التى أظهرت اليهود فى انجلترا فى القرن الخامس عشر بصورة الفئة الضالة، الخارجة عن المجتمع وعاداته وتقاليده، وصورتهم على أنهم قتلة وسفاحين وخونه وخاصة فى مجال السياسة . كما أشارت الدراسة أيضاً إلى تحول عدد لا بأس به من اليهود إلى المسيحية وذلك فى القرن التاسع عشر .

1 - Godzinsky, Frances Schlamowitz : The Potrait Of The Jew In The Balzacian Novel , Ph.D , United States, Lllinois, University Of Lllinois At Urbana - Champaign; 1980

2 - Dox, Donnalee : The Jew in medieval English drama , ph.D, United States – Minnesota : University of Minnesota; 1995 .

٣ – دراسة: ليفين ستانلى فاللیس ١٩٨٤(١) :اليهودى فى الأدب الفرنسى قبل الثورة

تتناول هذه الدراسة صورة الشخصية اليهودية كما صورها الأدب الفرنسى قبل اندلاع الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر، وركزت الدراسة على الشخصية اليهودية فى مؤلفات راسين وفولتير وبسكال وليمان، حيث ركز الكتاب الفرنسيون على علاقة اليهود بالمجتمع الذى يعيشون فيه، ونمو وانتشار وتغلغل اليهود فى المجتمع الأوربى بشكل عام والمجتمع الفرنسى بشكل خاص، وتناولوا علاقة اليهود ببعضهم البعض، وكيف أنهم يفضلون مصلحتهم على مصالح الآخرين حتى لو كان بالباطل . واتسمت الشخصية اليهودية فى هذه الكتابات بالأنانية وسوء الخلق، بالإضافة إلى تشاؤم المحيطين بالشخصية اليهودية منها .

نوع البحث ومنهجه

يعد البحث من البحوث الوصفية فى تحليل المضمون .

أداة تحليل المضمون (Content Analysis):

أداة تحليل المضمون ستكون الأداة الأساسية التى سوف يعتمد عليها الباحث فى الدراسة .

طريقة اختيار العينة :

اختار الباحث مسرحية يهودى مالطة بشكل عمدى للأسباب المذكورة في المقدمة .

مصطلحات الدراسة :

١ـ الشخصية :

"هى تنظيمٌ ديناميٌ داخل الفرد له قدر من الثبات والدوام لمجموعة من الوظائف أو السمات أو الأجهزة الإدراكية النزوعية والإنفعالية والمعرفية والدافعية والجسمية التى تحدد طريقة الفرد المتميزة فى الإستجابة للمواقف وأسلوبه الخاص فى التكييف مع البيئة وقد ينتج عن هذا الأسلوب توافق أو سوء توافق"(٢)

٢ـ الشخصية اليهودية : Jewish Character

الشخصية اليهودية "مصطلح يفترض وجود شخصية يهودية لها سماتها المحددة وهوية يهودية تختلف عن هوية الجماعات التى يعيش أعضاء الجماعات اليهودية بين ظهرانيها"(٣) .

٣ـ اليهودى The jew

"هو الذى يؤمن بالعقيدة اليهودية "(٤) .

٤ ـ المسرح

---

[1] - Levine Stanley Fallis : The Jewish Presence in Pre-Revolutionary French Litrature . Ph.D , U.S.A. , California : Stanford University; 1984.

٢ - محمد أحمد أحمد إسماعيل : مرجع سابق ، ص٦

٣ - عبدالوهاب المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، القاهرة، دار الشروق، ط ١، ص ٤.

٤ - المرجع السابق، ص ٤٣ .

شكل من أشكال التعابير الفنية التى ابتدعتها العقلية الإنسانية المبدعة للتعبير عن واقع الإنسان عن طريق مؤدين يشخصون شخصيات ليست شخصياتهم . ويجسد فى ذلك أنساق من الرموز التى تشكل لغات العرض المسرحى التى تحقق التواصل بين المؤدين وجموع المشاهدين، ويتم ذلك فى مكان خاص معد لتقديم هذا العرض المسرحى(١).

المسرح الإليزابيثى

تمهيد :

ازدهر المسرح الأوروبى ازدهاراً كبيراً فى عصر النهضة، وخاصة فى إيطاليا وفرنسا وإسبانيا فى البداية، ولكن انجلترا ما لبثت أن تفوقت على أوربا كلها فى هذا المجال، بعد أن كانت متخلفة كثيراً عن هذه الدول الثلاث، حيث استطاعت فى عشرات قليلة من السنين أن تتبوأ الصدارة المسرحية فى أوربا، وكان نجاحها هذا مثار إندهاش وإعجاب النقاد والمتابعين للحركة المسرحية فى ذاك الوقت.

وفى هذا العصر – الذى سُمىَ العصر الإليزابيثى نسبة إلى الملكة إليزابيث الأولى – ظهر العديد من المؤلفين المسرحيين، ولكن برع منهم شابان، كان "كل منهما فى السادسة عشرة من عمره، أحدهما طالب بكلية سانت جون (St.John) بجامعة أكسفورد (Oxford) وأما الثانى فكان مساعداً لأبيه فى تجارة الصوف، وانضم هذان الكاتبان بعد ذلك بقليل إلى صفوف كتاب المسرح فى لندن . ولحسن الحظ أسرع أول هذا الثنائى إلى دوائر المسرح قبل صاحبه بسنوات معدودة، وكان يدعى كريستوفر مارلو (Christopher Marlowe)"(٢) .

"عاش كريستوفر مارلو ١٥٦٤ – ١٥٩٣ حياة قصيرة متقلبة وكان ابناً لإسكافى من كنتربرى؛ حيث تنقل من مدرسة الملوك إلى كنتربرى ثم إلى كامبردج حيث حصل على الشهادة العالية سنة ١٥٨٣ ولا تزال الحقائق الصادقة عن حياته بعيدة عن التحقق الواضح"(٣) . ومن مسرحيات مارلو : مسرحية (دكتور فاوست ١٥٨٨ Doctor Faustus) التى كانت سببا فى شهرته، وقد اقترب فيها من الإطار المألوف للملهاة أكثر من ذى قبل، وهى مسرحية تدور أحداثها حول إنسان دفعه طموحه إلى الهلاك الشامل، ثم"أتت بعد ذلك مسرحية يهودى مالطة عام ١٥٩١– ١٥٩٢"(٤)، وهناك من يقول : إن مارلو"كتب مسرحية"يهودى مالطة The Jew Of Malta" عام ١٥٨٩، ومسرحية"ديدو ملكة قرطاجنة ١٥٩٣ Dido Queen of Garthage"(٥)، ومسرحية"مذبحة فى باريس ١٥٩٣ – ١٥٩٤"(٦)، ثم كتب مسرحية"إدوارد الثانى"عام ١٥٩٢، التى تركها لنا عبقرى عصر النهضة الثائر المنحوس

---

١ – كمال الدين حسين : مدخل لفنون المسرح، ط١ القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨م، ص ١ .

٢– لويس عوض : البحث عن شكسبير ٠٠ أنطونيو وكليوبطرة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧ .، ص ٢٠ .

٣ – لويس فارجاس : المرشد إلى فن المسرح، ترجمة : أحمد سلامة محمد، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥، ص ٩٨ .

٤– المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

٥– ألارداييس نيكول : المسرحية العالمية .. الجزء الثانى، ترجمة : محمود حامد شوكت، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص ٤٦ .

٦– لويس فارجاس : مرجع سابق ، ص ١٠٠ .

أعظم مسرحياته طرافة، وانما كانت أبرعها صياغة"(١) . أما مسرحية"تيمورلنك"فقد كتبها عام ١٥٨٧، وكان هذا العمل منه"هو تماماً ما ينتظره العصر، فقد احتاج المسرح عام ١٥٨٧ إلى رجل واثق من أهدافه، يعمل جاهداً على إصلاح المسرحية، وكان من الضرورى أن يأتى شخص يفتح طريقاً فى جرأة ليمر فيه شكسبير من بعده، فيثبت من روح الجمهور فى عصر"اليزابيث"ويعبر عنه تعبيرا نهائيا، وليست مسرحية"تيمور لنك بالمسرحية العظيمة، وإنما كانت إلهاما، فقد أثبت – مارلو بعبارات من شأنها جذب انتباه المتفرجين، وألفاظ متأججة – موضوعا يعالج البطولة فى وحدة حادة متصلة مع احتفاظه احتفاظا مستمرا بجدية الموضوع، وبرهن مارلو على أن الإعجاب والدهشة وحدهما يستطيعان أن يستحوذا على صمت جمهور احتشد فى مسرح، ولا يحتاج الجمهور دائما للهزل الرخيص، وإن البلاغة العالية التى دخلت فى ثوب معبر صالح لإلقاء الممثل أثر السحر فى جمهور المسرح"(٢) . ويحسب لمارلو أنه جعل بطل مأساته رجلاً عادياً وليس ملكا كما كان متبعا لدى سابقيه من كتاب المسرح، وأثبت أن تجسيد أقل الناس مرتبة قد يحرك عواطف المتفرجين ربما أكثر من تجسيد الملوك.

ولد (كريستوفر مارلو Christopher Marlowe) فى العام الذى ولد فيه (شكسبير) وكان شخصية أكثر إتقاداً من معاصره، وإن كان هذا المعاصر أعظم منه، فان"عبقرية شكسبير بدت متأخرة نسبياً، وظلت تشتعل نحو عشرين سنة بينما اشتعلت عبقرية مارلو فى بهاء، ثم اختفت فجأة بموته بعد سنوات قليلة، ولا يستطيع أحد أن يتكهن بما كان يستطيع أن يحققه لو أتيح له أن يحيا، على أن بريق الزهرة قد يشير إلى ضعف احتمال استمرارها زمناً، وإن كان لا يجزم بذلك، فقد اشتعلت بوحشية حادة لا تتركها محتفظة بخصائصها باستمرار"(٣) .

على أية حال فإن تراجيديات مارلو هى مسرحيات جوهرية وهامة فى المسرح الإليزابيثى، فهى "تراجيديات تثير الإنتباه والتشويق من خلال التركيز على البطل التراجيدى وتضخيم صورته وجعلها جبارة وقوية ومبالغ فى تصرفاتها (٠٠٠)، وفن مارلو التراجيدى يقترب كثيراً من فن شكسبير"(٤) . أما الشخصيات الأخرى فى مسرحياته فهى شخصيات ثانوية وأقل حجماً وقوة، كما أن أغلب أحداث مسرحياته عبارة عن اسكتشات Sketches بدون أى معالم أو خطوط درامية قوية .

مسرحية"يهودى مالطة".. تأليف : كريستوفر مارلو

على الرغم من أن تاريخ كتابة مارلو لمسرحيته "يهودى مالطة"لم يعرف على وجه الدقة إلا أن معظم الكتاب يعتقدون أنها "كتبت عام ١٥٨٩ أو فى بواكير ١٥٩٠"(٥) .

١- ألارداىس نيكول : مرجع سابق، ص ٣٥ .

٢- المرجع السابق، ص ٤٢ .

٣ - ألارداىس نيكول : مرجع سابق، ص ٤١ .[3]

4- William Shakespeare : Macbeth , New Delhi , Seventh Edition , 1997 , P 29

٤- كريستوفر مارلو : يهودى مالطة، ترجمة : الأديب السورى نصر عبدالرحمن، تقديم : زاخر غبريال، القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، وزارة الثقافة، روائع المسرحيات العالمية، نصف شهرية، يوليو ١٩٦٧، العدد ٤٩، ص ١٠ .

المقدمة المنطقية لمسرحية يهودى مالطة :

المقدمة المنطقية هى"المقدمة التى يهدف كل شئ فى المسرحية من فعل أو قول أو حركة أو تصوير للمشاعر بالكلام أو الرمز أو الإيحاء أو بأى وسيلة من الوسائل إلى اثبات صحتها وإقامة الدليل على أنها الحق والقول الفصل"(١) . وعليه إذا أردنا أن نتعرف على المقدمة المنطقية لمسرحية يهودى مالطة يتعيَن علينا أن نتعرف أولاً على موضوعها الرئيسى . ومن هذا المنطلق فإن مسرحية"يهودى مالطة"لكريستوفر مارلو تدور أحداثها حول شخصية تاجر يهودي يدعى"براباس"يفعل كل شئ مباح وغير مباحًا من أجل الحصول على المال ومن أجل مصلحته الشخصية .

وتبدأ المسرحية بظهور شبح مكيافيلى ليقدم لنا المسرحية، وهذا الظهور يوضح لنا من البداية الملامح المبدئية لشخصية بطل هذه المسرحية"براباس"؛ فالصورة الذهنية لمكيافيللى عند الناس هى مبدؤه الذى يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، وميكيافيللى هو رجل كان "يرى أن الجنس البشرى هو ذلك الجنس الذى أتيح له أن يعرفه حق المعرفة"(٢)، كما أنه"لم يكن رجلاً عاطفياً، ولكنه ذرف بعض دموع الحب وقد أعجبته الشخصيات القوية القبيحة . وقدر كل التقدير كل من كان يريد الفهم، والتعمق فى صميم الأشياء ومعرفة الطبيعة البشرية على حقيقتها"(٣)، ولم يكتف مارلو بأن يجعل مكيافيللى يقدم المسرحية، بل جعله يعلن عن بعض أفكاره الشيطانية، ومن بينها أنه لا يقيم وزناً للدين والقيم والمبادئ، أى أنه شيطان:

مكيافيلى : (...) إن الدين عندى ليس إلا دمية صبيانية(٤) .

ويكاد مارلو يعلن عن المقدمة المنطقية لمسرحيته من اللحظة الأولى لها وذلك عندما يجعل مكيافيلى يعلن عن شخصية اليهودى "براباس" وأنه يشبهه تماماً فى كل شئ ويسير على نفس النهج الذى دعى إليه فى كتاباته:

مكيافيلى : (...) فأنا لم أجئ إلى هنا، إلى بريطانيا لكى ألقى محاضرة، وإنما جئت لتقديم مأساة يهودى يبتسم لمرأى أكياسه محشوة بنقود لم يحصل عليها إلا بالوسائل التى أدعو إليها .. إننى أطلب شيئاً واحداً: هو أن تمجدوه كما يستحق أن يمجَد، وألا تسيئوا الحفاوة به لأنه يشايعنى (٥) .

مثل هذه السطور الأخيرة لها أهمية كبيرة فى رسم صورة الشخصية اليهودية كما يراها كريستوفر مارلو، فهو يعلنها لنا منذ البداية ودون مواربة أن صورة اليهودى براباس تشبه تماما صورة مكيافيلى، وواضح هنا مدى تأثر مارلو بكتاب"الأمير Le prince"لصاحبه ميكيافيلى الذى كتبه"فى سنة ١٥١٣، ولقد عمت شهرته، أو سوء سمعته، فى أوربا كلها منذ نشره مصحوباً بموجة إما من

١- لاجوس اجرى : مرجع سابق، ص ٨ .
٢ - جوزيبى بريتيزولينى : حياة نيكولو ماكيافيلى الفلورنسى ٠٠ ترجمة : طه فوزى، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٤، ص ٨٥ .
٣- المرجع السابق، ص ٨٥ .
٤ - كريستوفر مارلو : مرجع سابق، ص ٣٨ .
٥ - المصدر السابق : ص ٣٩ .

الإعجاب والمدح وإما من التثريب والقدح . ولقد كان مارلو، بسبب استقلاله، واتجاهه الثورى فى الحياة، واحداً من الإنجليز الذين اعتنقوا تعاليم هذا الكتاب، والتعاليم الأخرى التى تفرعت عنها"(١)

ويرى الباحث أن مارلو لم يحالفه التوفيق فى هذ التقديم، فهو أعطى للقارئ الملامح الرئيسية لبطله منذ البداية وطريقة تفكيره ونظرته للأمور، وأنه يسير على درب مكيافيلى ؛ الأمر الذى قد يجعل القارئ يستنتج أفعال اليهودى براباس، وما ستؤول إليه أحداث المسرحية، مما يفقد المتلقى متعة التشويق والترقب لما ستسفر عنه الأحداث .

وبعد هذا التقديم نرى براباس وهو يستمتع بعد نقوده، والإستمتاع برؤية أكوام ما يملك من الذهب، ويتابع أعماله وتجارته، ونعرف أنه يملك أموالاً طائلة، كما نعرف أنه يفضل المال على أى شئ أخر :

براباس : (...) إننى لأفضل أن أكون يهودياً مكروهاً وأنا ثرى على أن أكون مثار عطف الناس وأنا مسيحى فقير (٢) .

كما نعرف أن ليس لديه من الأبناء غير إبنة واحدة فقط، وهو يحبها ولكن فى نفس الوقت لا يتوانى فى التضحية بها من أجل منفعته الذاتية، وبارباس لم يصرح ذلك صراحة، ولكن شبه حبه لإبنته بحب أجاممنون لإبنته افيجينيا، وكما هو معروف أن "أجاممنون وعد بتقديم إيفيجينيا ضحية للألهة فى ميناء أوليس (...)، وأن الإلهة آرتميس أنقذت إيفيجينيا من النحر كضحية للألهة"(٣) .

براباس : (...) لى بنت وحيدة أحبها كما أحب أجاممنون ابنته إفيجين(٤) .

ويدخل عليه ثلاثة من اليهود ويخبرونه أن أسطولاً من السفن الحربية التركية قد رسى على شواطئ مالطة، وأن حاكم مالطة يعقد اجتماعاً ودعا يهود المدينة لحضور هذا الإجتماع الهام والعاجل، ويخمن براباس أن الأتراك ربما قد جاءوا لأخذ الجزية المتأخرة على مالطة، وبالفعل صدقت توقعاته، ويعرض فرنيزى - حاكم مالطة – على اليهود أن يساهم كل منهم بنصف ثروته لتسديد الجزية، إلا أن براباس يرفض الدفع ؛ فيعاقبة فرنيزى بمصادرة كل أملاكه بما فيها منزله الذى يحوله إلى دير للراهبات .

لم يكن هذا التصرف العنيف من قبل الحاكم"فرنيزى"يروق بالطبع لبراباس، لذلك كان رد فعل براباس عنيفاً وقاسياً وبلا رحمة ولا إنسانية، فها هو نراه يقنع ابنته ابيجيل أن تدعى تركها لليهودية واعتناقها للمسيحية لكى تنقب له عن ثروته التى خبأها فى الدير، وبالفعل تنفذ هذا وتتوصل إلى كنوزه وتحضرها له ثم تعود إلى ديانتها اليهودية مرة أخرى، ولم يكتفى براباس برجوع

---

١ - الارديس نيكول : علم المسرحية، ترجمة : درينى خشبة، الكويت، دار سعاد الصباح، ط ٢، ١٩٩٢، ص ٢٥٢ .

٢ - المصدر السابق : ص ٤٦ .

٣- روبرت جريفر : من أساطير الإغريق (الملك أوديب – آجاممنون وكليتيمنيسترا)، ترجمة : توفيق على منصور، القاهرة، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العددان ٧٤/٧٥، أبريل – سبتمبر ٢٠٠٧، ص ١٥٦ .

٤ - كريستوفر مارلو : المصدر السابق، ص ص ٤٩ – ٥٠ .

كنوزة إليه، بل أراد الإنتقام من فرنيزى - حاكم مالطة – الذى سلبه بعض أمواله ؛ فاستغل جمال ابنته ابيجيل فى الإيقاع بإبنه"لودوفيك"، وكذلك الإيقاع بالمسيحى "ماثياس" - حبيب ابيجيل – حيث أوهم كلاً منهما على حدة أن الأخر يحبها ويتحداه فى حبها، ودبر لهما مكيدة محكمة ؛ فقتلا كلاً منهما الأخر . وعندما علمت ابيجيل بما فعله أبيها فى حبيبها وصديقه شعرت بالذنب وذهبت إلى الدير - صادقة – لتعلن تحولها من الديانة اليهودية إلى الديانة المسيحية، وتبدى رغبتها فى الرهبنة من أجل التعبد والتوبة:

ابيجيل : لقد أغضبت الله كثيراً وهذا يجعلنى شبه يائسة بسبب ذنوبى (...) أيها الراهب الرحيم، اهد والدى إلى الدين المسيحي لعله ينجو من العذاب . واشهد بأننى سأموت مسيحية(١) .

غير أن براباس لم يرض بأن تترك ابنته الدين اليهودى وتعتنق المسيحية، فيدبر جريمة لقتل ابنته بالسم ومعها كل راهبات الدير انتقاماً منهم جميعاً ومن الدين المسيحى أيضاً، وبالفعل ينجح فى تنفيذ جريمته بمساعدة خادمه اليهودى"اثامور"، وتموت جميع راهبات الدير بما فيهن ابيجيل، ولكن قبل أن تموت تعترف للراهب برناردين بأن أباها كان المدبر لجريمة قتل لودوفيك – ابن الحاكم – وصديقه ماثياس – حبيب ابيجيل - .

يذهب الراهب برناردين مصطحباً معه الراهب جاكومو إلى براباس ليوبخاه على فعلته الشنعاء فى حق الصديقين لودوفيك وماثياس، إلا أن براباس يتخلص منهما بمكره ودهائه، حيث أوهمهما أنه يريد أن يعتنق المسيحية ويتبرع بكل ثروته لأحد الأديرة لكى يكفر عن ذنوبه وجرائمه التى ارتكبها، فيتكالب الراهبان على كسب ود براباس طمعاً فى أمواله، ويتعارك الإثنان على أىَ الديرين يصطفى أموال براباس، وينفرد بكل واحد منهما ؛ فيقتل أحدهما، ويتهم الآخر بقتله .

يتعلق الخادم اليهودى اثامور بعلاقة عاطفية بغانية تدعى بلاميرا ؛ فيحكى لها – بعد أن سكر من شرب الخمر – كل أسرار سيده براباس ؛ فتنتهز الفرصة لتحصل منه على النقود، وتتمكن – بمساعدة قوَادها – من اقناعه أن يبتز براباس ؛ فيرسل اثامور قوَادها"بيليابورزا"إلى براباس لطلب أموال كثيرة حتى لا يبح بأسراره ؛ فيضطر براباس إلى الموافقة، ولكنه يقرر القضاء على اثامور والباغية بلاميرا وقوَادها بيليابورزا لأنهم عرفوا أسراره ؛ فيذهب إليهم متنكراً فى زى موسيقى فرنسى متجول، ويحمل فى قبعته وردة مسمومة تقضى عليهم الثلاثة عندما يمنحها لهم ليستنشقوا عطرها، غير أنهم لا يموتون إلا بعد أن يذهبوا إلى الحاكم ويبوحوا له بكل أسرار براباس، ومن هذه الأسرار أنه هو الذى دبر مؤامرة محكمة لقتل ابنه لودوفيك ومعه صديقه ماثياس، كما أنه هو الذى سمم الطعام للراهبات وقتلهن جميعاً بما فيهن ابنته ابيجيل ؛ فيرسل الحاكم من يقبض عليه ويضعه فى السجن انتظاراً لمحاكمته على جرائمه التى ارتكبها. فى السجن يشرب"براباس"شراباً منوماً، فيظنه الحراس قد مات ؛ فيلقون به خارج أسوار المدينة ؛ فيتقابل مع جيش الأتراك الغزاة ؛ ويدلهم على نفق سرى يدخلون من خلاله إلى وسط المدينة ؛ فيفاجئون فرسانها ويقضون عليهم، وقد حدث هذا

١ - المصدر السابق : ص ص ١٢٤ – ١٢٥ .

بالفعل، ومكافأة لبراباس عيَنوه على مالطة حاكماً بعد أن قبضوا على حاكمها"فرنيزى"، إلا أن براباس يدرك بذكائه أن شعب مالطة يكرهه، ومن الصعب أن يستمر فى حكمه طويلاً ؛ فيعقد مؤامرة مع حاكم مالطة السابق ؛ مفادها : أن يقوم برباس بدعوة قادة وجنود جيش الأتراك على مأدبة غذاء ثم يقضى عليهم جميعاً، وبذلك يكون قدم عملاً طيباً لأهل مالطة فيحبوه ويستتب الأمر، بالإضافة إلى أن فرنيزى وعده بجمع الأموال له من أهل مالطة . ويلبى الأتراك الدعوة ويقضى براباس على كل الجنود الأتراك، ولكن عند تنفيذ مؤامرته على قادة الجيش التركى ينقلب عليه فرنيزى، وينفذ خطة قتل هؤلاء القادة فى براباس نفسه، ويقبض فرنيزى على القادة الأتراك ويضعهم فى السجن، وبذلك يكون براباس ذاق من نفس الكأس الذى أذاقه للكثيرين من قبل، وتنتهى المسرحية.

مما سبق نستطيع أن نقول أن المقدمة المنطقية لهذه المسرحية هى :

(مبدأ الشخصية اليهودية هو الغاية تبرر الوسيلة).

ويرى الباحث أن كريستوفر مارلو حشد أحداثاً كثيرة ليبرهن على فكرته، وكان يكفى له بعضاً من هذه الأحداث ليقنع المتلقى بشيطانية اليهودى براباس، والدليل على ذلك هو أننا نستطيع أن نخرج بمقدمات منطقية أخرى - بجوار المقدمة المنطقية السابقة التى ارتأى الباحث إنها الفكرة الرئسية التى أراد النص أن يقولها – مثل :

- الشخصية اليهودية تضع مصلحتها فوق جميع القيم والمبادئ الإنسانية .
- الحنث بالقسم أو عدم الوفاء بالعهد مع من يخالفون اليهودي فى ديانته .
- البناء الدرامى للشخصية اليهودية فى مسرحية"يهودى مالطة":

الدراما هى محاكاة للأحداث، وبالتالى فهى تحاكى القائمين على هذه الأحداث، والشخصية من أهم عناصر العمل الدرامى، وهى التى تصنع الحدث الدرامى، والكاتب يخلق شخصياته من خلال خبراته وثقافاته، كما أنه قد يضيف إليها من خياله، "وللشخصية معنى ووظيفة وإطار من العلاقات تتجسد فى النص الأدبى، والنص الأدبى يصف الشخصية بطاقتها الدلالية، بالمظهر، وبالفعل، وبالباطن، وبما تقوله الشخصيات الأخرى عنها، وبكل ما يقال عنها بطريقة مباشرة – فى الحوار والتعليمات – أو بطريقة غير مباشرة"(١) .

أبعاد الشخصية

الشخصية الدرامية تتكون من ثلاثة أبعاد اساسية هى:

١ – البعد المادى (الجسمانى) :

هو البعد الناتج عن الوراثة، حيث تنتقل الجينات الوراثية من الأباء إلى الأبناء .

---

١ - مارى كارمن بوبيس : سيمولوجيا المسرح ٠٠ ترجمة : أحمد عبدالعزيز، القاهرة، دار النصر للتوزيع والنشر ، ٢٠٠٤، ط ١، ص ٢٨٣ .

٢ – البعد الإجتماعى (وهو البعد الخاص بالبيئة المحيطة بالشخصية) :

إن صفة حب المال واكتنازة اكتسبها برباس من أهله وعشيرته ؛ فالثراء هو مصدر أمان وفخر لليهود .

وكذلك صفة المكر والدهاء اكتسبها وتعلمها برباس من أهله، فقد تعلم – عن طريق السمع – أن الأشياء التى تأتى بالحيلة والخداع هى التى تدوم، أما التى تأتى بالقوة فلا تدوم:

برباس : لكن ما من شئ يأتى عن طريق العنف يمكن أن يدوم، هذا ما سمعته يقال مراراً (١) .

إن أغلب صفات اليهودى برباس اكتبسها وتعلمها من أهله اليهود، فنسيان الأذى لم يتعلمه، ولا يعرف إليه سبيلاً، وهو يعترف صراحة بأنه تعلم من مجتمعه اليهودى كيفية تقبيل الأيادى أحياناً، والرقص كالقرود أحياناً أخرى، وإدعاء التقوى والورع والمسكنة فى أحايين كثيرة من أجل الوصول إلى غايته :

برباس : (...) لقد تعلمت فى (فلورنسا) كيف أقبل يدى وأهز كتفى عندما يدعوننى كلباً، وكيف أحنى الرأس كاى راهب حافى القدمين، ولكننى إنما أفعل ذلك أملاً فى أن أراهم يموتون جوعاً فى حظيرة حيوانات، أو أراهم يسألون العطاء فى كنيسنا، وعندما تصل إلىَ صينية العطاء فاننى سأتصدق ببصقة (٢)

٣ – البعد النفسى :

أما البعد الثالث فى تكوين الشخصية وهو السيكولوجى (الكيان النفسى) فهو ثمرة البعدين الآخرين – الفسيولوجى والسوسيولوجى – ؛ حيث إن "أثرهما المشترك هو الذى يحيى فينا مطامعنا ويسبب هزائمنا وخيبة آمالنا ويكون أمزجتنا وميولنا ومركبات النقص فينا (...)، هو الذى يتمم كياننا الجسمانى والإجتماعى ويشكلهما"(٣)، وكل تصرفات اليهودى برباس ناتجة عن تكوينه النفسى الذى هو نتاج البعدين المادى والإجتماعى . وفى هذا النص نجح مؤلفه"كريستوفر مارلو"أن يجعل تصرفات برباس متناسقة مع أبعاد شخصيته بشكل خاص، ومع أبعاد الشخصية اليهودية بشكل عام، وهو فى سبيل إقناع المتلقى بتصرفات برباس الشاذة والبعيدة عن الإنسانية، كان حريصاً أن يسرد لنا فى أكثر من موضع التكوين النفسى لليهود عموماً، ولشخصية برباس بشكل خاص، وكرر فى أكثر من موضع أن شخصية اليهودى برباس لا تنفصل عن الشخصية اليهودية فى كل زمان ومكان، وتصرفاتهم وأفعالهم وصفاتهم كلها واحدة، لذلك نرى"مارلو"يجعل"برباس"يتحدث بلسان الجمع وليس المفرد، فيقول – على سبيل المثال – : نحن اليهود بدلاً من أن يقول : أنا، أو عاداتنا بدلاً من عادتى ... إلخ :

١ – المصدر السابق : ص ٤٧ .
٢ – المصدر السابق : ص ٨١ .
٣ – لاجوس اجرى : مرجع سابق، ص ١٠٣ .

برباس : فنحن اليهود نستطيع أن نتذلل كالكلاب عندما نريد (١) .

برباس : (...) إنها عادتنا المتبعة، نهرع إلى الهواء الطلق لتطهير أنفسنا كلما تحدثنا إلى كافرين مثلكم لأننا نحن أصحاب الوعد . (٢)

نخلص من هذا أن"كريستوفر مارلو"يقصد – عن عمد – تجسيد كل شخصيات اليهود فى شخصية اليهودى برباس .

وحدة الموضوع :

وهى وحدة من الوحدات الثلاث الكلاسيكية، وتعنى وحدة الحدث، أى أن المسرحية "تنظر فى قضية واحدة فحسب، ولا تتعدد الحبكات"(٣)، وتعنى أيضاً أن"تدور المسرحية حول فعل واحد تام له بداية ووسط ونهاية، وعلى ذلك لا يجب أن يكون فى المسرحية غير بطل واحد يثير الإهتمام، وعمل واحد ترتبط أجزاؤه ببعض وتؤلف كلا متجانساً متدرجاً فى أهميته حتى النهاية، ويجب ألا تشتمل المسرحية إلا على قصة واحدة رئيسية، وهذا يعنى استبعاد القصص الفرعية"(٤) . وإذا طبقنا هذا التعريف على هذا النص نجد أن مارلوإ قد أطاح به جانباً، ولم يعره أى اهتمام ؛ فهذا النص لم يتناول حدثاً واحداً أو ثيمة واحدة، بل استخدم أحداثاً كثيرة وثيمات متعددة مثل ثيمات الطمع، الجحود، الخيانة، الكذب، النفاق، الغرور والتعالى، وغيرهم، مما ساعد على تفكك البناء الدرامى للمسرحية، وعدم ترابط الأحداث .

أما من ناحية البناء الدرامى للنص فيرى الباحث أن المسرحية تفتقر إلى قوة البناء وإلى التوازن والترابط المنطقى للأحداث وإلى البراعة فى رسم شخصياتها، وجنحت المسرحية إلى الميلودراما ؛ فأحداثها فجة مفتعلة، وكثير من شخصياتها لا روح فيها، فمارلو بنى فعله المسرحى على شخصية أساسية واحدة فقط وهى اليهودى برباس، وجعلها تقف وحدها فى الميدان لا تجد من تصارعه، تفعل ما تشاء دون أن يعترض طريقها أحد ؛ وجعلها سوبر مان الشر، وليس مجرد فرد شرير، وهذا هو أسلوب مارلو فى رسم شخصيات كل تراجيدياته التى كتبها، "فهى تراجيديات تثير الإنتباه والتشويق من خلال التركيز على البطل التراجيدى وتضخيم صورته وجعلها جبارة وقوية ومبالغ فى تصرفاتها (...)، أما الشخصيات الأخرى فى مسرحياته فهى شخصيات ثانوية وأقل حجماً وقوة، كما أن أغلب أحداث مسرحياته عبارة عن اسكتشات Sketches بدون أى معالم أو خطوط درامية قوية "(٥) . لذلك افتقد الصراع فيها إلى الخصم القوى الذى يشعل الصراع ويقويه ؛ فجنحت أحداث المسرحية إلى الميلودراما، ذلك لأن الميلودراما "فن قائم على المبالغة، وهى ليست مبالغة كمية، بل هى

---

١ - المصدر السابق : ص ٨١ .

٢ - المصدر السابق : ص ٨٢ .

٣ - محمد محمد عنانى : التركيب والتحليل فى المسرح المصرى، مجلة المسرح، مجلة شهرية تصدر عن مسرح الحكيم، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، هيئة الإذاعة والمسرح والموسيقى، العدد العاشر، أكتوبر، ١٩٦٤، ص ٣٣.

٤ - شكرى عبدالوهاب :النص المسرحى، القاهرة، دار فلور للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٠١، ص ١٩ .

5- William Shakespeare : Macbeth , New Delhi , Seventh Edition , 1997 , P 29

فى الأساس مبالغة كيفية"(١)، كما أن الميلودراما "تركز الشر فى حفنة من الناس وأحياناً فى فرد واحد"(٢) . أيضاً تخلوا المسرحية خلواً تاماً من روح الكوميديا، فكل أحداثها كئيبة بدرجة كبيرة، والأجزاء التى تبدو مرحة فيها تشعرنا أنها أقرب إلى اللا معقولية أو الشعوذة وليس إلى الكوميديا .

سمات الشخصية اليهودية فى مسرحية يهودى مالطة

سمات الشخصية اليهودية فى هذا النص تتمثل فى شخصية اليهودى براباس، وهذه الشخصية تعتبر نموذجاً للشخصية الشيطانية، فمارلو جمع كل الصفات الشريرة – تقريباً – ووضعها فى شخصية براباس، ويرى الباحث أن مارلو لم يبرر – التبرير الكافى – لماذا جعل ردود أفعال هذه الشخصية متطرفة بهذا الشكل .

- **الغاية تبرر الوسيلة (مكيافيلية)**

يؤمن اليهودى بارباس بأن الغاية تبرر الوسيلة، مهما كانت قذارة هذه الوسيلة، ولما كانت غايته جمع المال ولا شئ غير المال ؛ فقد سلك أقذر الطرق، فنراه يدس السم فى آبار المياه ليقتل من يشرب منه، ومارس مهنة الطب ليس حباً فى علاج المرضى، بل حباً فى قتلهم لكى يجمع المال، وهو لا يتوانى فى قتل الصديق قبل العدو من أجل منفعة مادية رخيصة، ولا يتوانى عن إغواء بعض اللصوص المسيحيين على السرقة ثم يبلغ عنهم ليزج بهم إلى السجن، وهو يفعل كل هذا ليس فى الخفاء، بل على مرأى ومسمع من الجميع، والأكثر من هذا يقوم هو بنفسه بالإعلان عن أفعاله الدنيئة واللإنسانية هذه – سواء كانت معلنة أو مستترة – كأنها أفعال فخر واعتزاز :

براباس : إن سألت عنى فأنا أتلصص فى الليالى فأقضى على المرضى الذين يئنون تحت الجدران، وفى بعض الأحيان أخرج لأدس السم فى آبار الماء، ومن حين إلى حين أرضى بأن أسقط عدداً من ريالاتى، أشجع بها اللصوص المسيحيين لكى أراهم بعد ذلك من إيوانى يسيرون من جانب بابى مقيدى الأيدى إلى السجون . لقد درست الطب فى شبابى وبدأت أمارسه على الطليان أول الأمر، وهناك أغنيت الرهبان لكثرة من دفنوا من الموتى، وجعلت سواعد سدنة الكنائس تعمل باستمرار فى حفر القبور ودق أجراس الموتى . ومن بعد ذلك أصبحت مهندساً، وفى إبان الحروب بين فرنسا وألمانيا كنت أتوارى وراء التظاهر بمساعدة شارل الخامس، وأقتل الصديق والعدو بمكائدى(٣) .

براباس : الغفران لنفسى المثقلة بالخطيئة . (٤)

- **خيانة العهد والغدر الخداع والدهاء والمراوغة**

عندما أراد اليهودى براباس أن يستعيد كنوزه وأمواله التى خبأها فى بيته – قبل أن يصادر الحاكم هذا البيت ويحوله إلى دير للراهبات – لم يجد غير مكره ودهائه وخبثه لإستعمالهما من أجل هذا الغرض، وتوصل إلى حيلة خادعة مفادها أن تدعى ابنته ابيجيل أنها تخلَت عن الديانة اليهودية

١ – على الراعى : مسرح الشعب، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ٣٨٨ .
٢ – المرجع السابق، ص ٣٨٧ .
٣ – المصدر السابق، ص ٩١ .
٤ – على الراعى، مصدر سابق، ص ٦٨ .

واعتنقت المسيحية، وأنها زهدت الدنيا وما عليها نتيجة لما حصل مع أبيها، لذلك فإنها ترغب فى الرهبنة للتكفير عن ذنوبها، ونصح ابنته بأن تتقمص – بإتقان - دور المخلصة فى توبتها وفى تحولها إلى المسيحية، وسيتقمص هو دور الأب الغاضب من ابنته التى خرجت من دينها ومن إرادة أبيها، وسوف يصب عليها اللعنات والشتائم وسيتبرأ منها أمام الناس حتى يصدقوا الخدعة التى رسمها، وتصبح الحبكة مقنعة للجميع، وبهذه الخدعة الماكرة استطاعت ابيجيل أن تدخل دير الراهبات – الذى كان بيت أبيها قبل ذلك – وتعيش فيه وتتجول فيه بحرية، وتتوصل إلى المكان الذى خبأ فيه أبوها كنوزه وأمواله، وتحصل عليها، وتعطيهم لأبيها، وبهذه الخدعة الماكرة استطاع براباس أن يسترد أمواله:

باراباس : (...) ليس من الضرورى أن يشاهدونى، سأحاول أن أبدو وكأننى غاضب بسبب انضمامك . كونى حذرة يا بنيتى، إن هذه الحيلة ستعيد لى ذهبى.(١)

وعندما أراد الإنتقام من فرنيزى – حاكم مالطة الذى صادر ثروته – فى شخص ابنه – لودوفيك– وكذلك التخلص من المسيحى ماثياس – حبيب ابنته ابيجيل والتى تتمسك به زوجاً على غير رغبته – لم يجد سوى المكر والخديعة والدهاء فى التخلص من الإثنين معاً

وعندما علم أن الراهبين برناردين وجاكومو قد عرفا بسر قتل لودوفيك وماثياس استعمل المكر والخداع فى التخلص منهما، فقد ادعى التوبة والورع وأنه يرغب فى اعتناق الدين المسيحى .

- **حب الذات أو المصلحة الذاتية (الأنانية)**

إن اليهودى براباس لا يهتم فى هذا الوجود سوى بمصلحته الشخصية فقط، فهو لا يعبأ باحتلال سلطان الأتراك لمدينته مالطة، ولا ضير عنده فى أن تستعمر مدينته ويستعبد أهلها وتستباح أموالها وأعراضها، وكل الذى يبتغيه ويعمل من أجله هو كيف يبعد الأذى عنه ويحقق المكاسب له، فهو لا يهتم ولا يفكر إلا بنفسه فقط:

باراباس : (...) ولكن كيفما كان الأمر فسوف أحقق المكاسب لنفسى، وسأنشد فى الوقت المناسب صد الأذى عن نفسى، وذلك بحراسة ما أملك .. إننى أهتم بنفسى أكثر من أى شئ آخر، ألا فليدخلوا .. وليحتلوا المدينة !!! (٢)

٤- حب المال :

المال عند اليهودى هو أصل سعادته، لذلك نراه فى بداية المسرحية يعد نقوده ويحصر ثروته وهو مستمتع بزيادة عددها وبضخامتها، كما نراه يحزن حزناً عميقاً عندما شعر بأن ثروته قد تضيع منه، ويصنع كل الحيل والمكائد من أجل استعادتها، ويصل الأمر بأن يضحى بإبنته فى سبيل الحفاظ على هذه الثروة، بل التضحية بوطنه بالكامل من أجل الحفاظ على كنوزه، لأن هذه الأموال هى سبب سعادته، وسبب بقائه فى الحياة :

براباس : (...) إنكم استوليتم على ثروتى، وهى ثمرة كدى طوال حياتى، وسلوتى

١ - المصدر السابق : ص ٦٧ .
٢ - المصدر السابق : ص ص ٥٠ - ٥١ .

فى شيخوختى وأمل نسلى من بعدى (١) .

- **الكذب**

الكذب شئ طبيعى عند اليهودى براباس طالما هذا الكذب يحقق مصلحة ما ، وهو سمة التعامل مع غير اليهود، بل إن حنث القسم ليس عيباً أو حرامًا عند براباس طالما أن الهدف من هذا القسم هو تحقيق مصلحة لليهودى من غير اليهودى، لذلك نراه يطلب من ابنته أن تكذب وتقسم بأغلظ الأيمان – على غير الحقيقة - بأنها تحب لودوفيك لأن لودوفيك ليس يهودياً، والكذب على غير اليهودى مباح وحلال :

براباس : (...) احلفى وارفعى صوتك مقسمة إنك تحبينه، أنه ليس من نسل إبراهيم (٢).

وها هو نفسه يكذب على ماثياس، بل ويقسم بالسماء أنه ينوى أن يزوج ابنته ابيجيل له، فى الوقت الذى يدبر فيه خطة لقتل ماثياس حتى لا يتزوج من ابنته التى تعشقه وتتمسك بالزواج منه، وفى الوقت الذى يكذب فيه على ماثياس ويتعهد له أن يزوجه ابيجيل يكذب أيضاً على لودوفيك ويتعهد له أيضاً بأن يزوجه ابيجيل .

- **انعدام الضمير**

وهى سمة واضحة فى هذا النص، حيث ندرك بوضوح أن شخصية"براباس"قد نحت ضميره جانباً، أو لم يكن يمتلكه من الأساس، فهو يؤمن إيماناً راسخاً بأن أصحاب الضمائر الحية قد يتسولون بسبب ضمائرهم هذه، كما يؤمن بأن العقيدة والمبادئ شئ هراء، لا وجود له، أو هى مجرد شعارات لا تغنى ولا تسمن من جوع، لذلك فإن كل شئ مباح عنده:

براباس : (...) وقد يكون الرجل السئ الحظ ذا ضمير فيعيش بسبب ضميره متسولاً(٣)

- **الربا**

كلمة "المرابى" فى اللغة العربية تعنى "من يداين الناس بالربا قصدا لزيادة ماله على حساب ديونهم"(٤)، والربا محرم فى الديانات السماوية، ومن ضمن هذه الديانات الديانة المسيحية التى أصدرت بشأن هذا الأمر "الحظر الكنسى العام للربا الذى أقدم عليه البابا فى عام ١١٧٩ الميلادى والذى قال بأن المسيحيين الذين يوافقون على الربا كانوا مذنبين بالكسب المخزى"(٥)، وكان "عددا من رجال الدين قد أكدوا على أن الربا محرم فى العهد القديم الذى ساوى بين الربا والإبتزاز"(٦) .

---

١ - على الراعى، مصدر سابق: ص ٥٩ .

٢ - المصدرالسابق : ص ص ٩٣ - ٩٤ .

٣ - المصدر السابق : ص ٤٧ .

٤- فاروق شوشة : جمال العربية، العربى ٠٠ مجلة شهرية، الكويت، وزارة الإعلام، العدد ٦٣٧، المحرم ١٤٣٣ه، ديسمبر ٢٠١١م، ص ١٥٦ .

٥- حامد الحمود العجلان، العربى عامر ذياب التميمى : الربا والإقتصاد والتمويل الإسلامى، مجلة شهرية، الكويت، وزارة الإعلام، العدد ٦٣٩، ربيع الأول ١٤٣٣ه ، فبراير ٢٠١٢م، ص ١٨٥

٦ - المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

ولذلك نتفهم موقف كريستوفر مارلو من اتخاذه موقفاً معادياً تجاه المرابي اليهودي براباس . والربا هى السمة التى اشتهر بها براباس، فهو يعمل فى التجارة والربا الفاحش، حيث يستغل حاجة الناس ويقرضهم بفوائد مبالغ فيها للغاية .

- **الفتنة وتدبير المكائد والوقيعة بين الناس**

تدبير المكائد من السمات الأساسية لشخصية اليهودى فى هذا النص حتى لو كان هذا على حساب الدين، فعندما أراد براباس أن يعيد أمواله ومجوهراته لم يتوان فى استغلال الدين، فقد طلب من ابنته أن تدعى التدين والرهبنة لكى تدخل دير الراهبات وتمكث فيه حتى تجلب له ثروته التى أخفاها فيه، ثم بعد ذلك تترك الرهبنة وتعود إلى حياتها العادية مرة أخرى، ومبرره فى هذا أنه فى شدة، وأن فى الشدة يجب على المرء أن يسلك كل السبل للوصول إلى هدفه :

براباس : (...) فى وقت الشدة يجب ألا نترك مكيدة إلا طرقناها . (١)

وبالمكيدة أيضاً استطاع اليهودى براباس أن يصبح حاكماً على مالطة، وذلك عندما ساعد فرسان الأتراك على دخول المدينة والقضاء على جيش مالطة، وبالمكيدة أيضاً حاول أن يحافظ على كرسى الحكم:

براباس : وهكذا فقد حصلت بمكائدك يا براباس على مركز ليس بالبسيط، وعلى سلطة ليست بالهينة إننى الآن حاكم مالطة (...) فلتحافظ عليها محافظة باسلة بالمكيدة المنيعة (٢) .

إن اليهودى براباس يدرك تماماً أن تدبير المكائد هى شر كبير، وأنها دمار وخراب كبيرين للبشرية ورغم ذلك يتخذ من تدبير المكائد مذهباً وعقيدة وأسلوبًا للحياة، ولا يهمه العواقب الوخيمة التى ستجلبها مكائده هذه، كل الذى يهمه هو منفعته الذاتية فقط حتى لو مات البشر جميعاً :

براباس : (...) إن سياسة الكيد التى أعتنقها تمقت التحفظ .. وأنا أعرف النتيجة التى تنطوى عليها أهدافى الخفية، وستكون أرواحهم شاهداً على كيدى (٣) .

- **قسوة القلب وانعدام الرحمة والعطف والشفقة**

يعترف اليهودى براباس أن اليهود قساة القلب ومعدومى الرحمة فهم لا ينسون الأذى مطلقاً، وأنهم ينتقمون حتماً من الذى أذاهم أو وقف فى طريق مصلحتهم، فهم فئة من البشر لا تعرف اللين ولا الرحمة تجاه البشر ؛ فقسوة القلب وانعدام الرحمة والعطف والشفقة هى من المبادئ والتعاليم التى يؤمن بها اليهودى براباس، فها هو نراه يلقنها لعبده اثامور كأول شئ يعلمه له، وينصحه بأن يجعل شعاره فى هذه الدنيا هو عدم معرفة ما يسمى الرأفة والعطف:

براباس : (...) عليك أن تلقى عنك هذه المشاعر التى يسمونها الرأفة والعطف والحب والأمل الغرير والخوف الجبان . لا تتحرك مشاعرك لشئ ولا تعطف على أحد (١).

---

١ - المصدر السابق : ص ٦٥ .
٢ - المصدر السابق : ص ١٦٩ .
٣- المصدر السابق: ص ١٧٤ .

الإيمان بنظرية الجنس السامى أو شعب الله المختار

يعتقد اليهودى براباس أنه مخلوق أفضل من كل البشر، فهو يؤمن أنه مميز من قبل الله، وأن الله قد خلقه من طينة أفضل من الطينة التى خلق منها باقى البشرية، لذلك فإنه يستحق حياة أفضل وأحسن من أى مخلوق بشرى، ويؤمن إيماناً راسخاً بنظرية الجنس السامى أو شعب الله المختار، حيث يعتقد بأن الله قد خلقه من سلالة طاهرة، نقية، وخلق الآخرين من سلالة غير طاهرة وغير نقية، لذلك يجب أن يكون المال والثراء والنعيم والعيش الكريم لليهود وحدهم، أما الآخرون فلهم الفقر والذل والهوان والعبودية، لذا فهو يرى نفسه فوق الجميع :

براباس :لقد عدت غنياً كما كنت، رغم أنف هؤلاء المسيحيين، أكلة الخنازير! إنهم شعب أمة غير مختارة لا متطهرة، وهم أشرار فقراء لم يحسب لهم أحد حساباً(٢).

شيطانة و شريرة

يشبه اثامور سيده براباس بالشيطان ؛ فهو يصف المؤامرة التى رسمها براباس للتخلص من لودوفيك وماثياس بالمؤامرة الشيطانية، ويؤكد أن الشيطان نفسه تجسد فى شخص سيده براباس ودبر لتلك المؤامرة، لأنها مؤامرة شيطانية بعيدة كل البعد عن أفعال البشر الشريرة، كما يصف من كتب الرسالة التى حملها إلى لودوفيك ومن بعده ماثياس بأنه شيطان لا شك فى ذلك:

اثامور : ياللغرابة .. لقد اخترع الشيطان تحدياً، فكتبه مولاى وحملته أنا إلى (لودوفيك) أولا، ومن ثم إلى (ماثياس)، وبعدئذ التقيا للمصارعة، وكما تقول الرواية، أنهى كل منهما حياة الآخر بطريقة محزنة(٣) .

تكره المسيحيين والمسلمين

الشخصية اليهودية فى مسرحية"يهودى مالطة"تكره المسيحيين كرهاً شديداً، فاليهودى"براباس"– الشخصية المحورية فى هذا النص – ينعت المسيحيين بالقذارة والخسة والحقارة، ويصفهم بالأشرار الفقراء الذين يحقدون على اليهود الأغنياء :

براباس : (...) إنهم شعب أمة غير مختارة ولا متطهرة، وهم أشرار فقراء (٤)

- **الجحود وعدم الوفاء حتى للأهل**

شخصية اليهودى براباس لا تكن أى خير للآخر حتى لو كان هذا الآخر هو أقرب المقربين لديها، فها نحن نراه يدس السم فى طعام إبنته قاصداً قتلها لأنها سلكت طريقاً مغايراً لطريقه، والأغرب من هذا هو كم الشر والإنتقام البادیان عليه وهو يجهز لقتلها ؛ فهو يجلب لها أشد أنواع

١ - حامد الحمود العجلان، العربى، عامر ذياب التميمى، مصدر سابق: ص ٩٠ .
٢ - المصدر السابق : ص ٨٠ .
٣ - المصدر السابق: ١١٠ .
٤ - المصدر السابق : ص ٨٠ .

السموم فى الكون وبكميات كبيرة ليقضى عليها فى الحال، وليس هى فقط، بل ومعها كل الراهبات فى الديرعقاباً لهم على مخالطتهم إياها :

براباس : بالإختصار لتنطلق من مملكة جهنم يا دم (هايدرا)، ويا سَم (ليرنا)، ويا عصارة البركان، وهبى يا أنفاس (كوكتيوس) ويا جميع سموم البحيرة الجهنمية، واقذفى بسمومك فى هذا الطعام ؛ سممى تلك التى هجرت أباها كما فعل إبليس(١) .

- حب سفك الدماء

صورة اليهودى"براباس" كما عكسها النص المسرحى"يهودى مالطة" هى شخصية محبة لسفك الدماء، وتعشق إراقته، شريطة أن يحدث هذا بعيداً عنها، فعندما عرف أن سفناً تركية جاءت لمحاربة جيش وطنه - مالطة - لم يتمن أن يجنب الله أهل وطنه سفك الدماء أو على الأقل يتمنى لهم النصر، ولكن تمنى شيئًا مغايرًا تماماً عن الطبيعة البشرية السوية، فقد تمنى لأهل وطنه الهزيمة، وإراقة دمائهم أجمعين شريطة أن يبقوا عليه هو وابنته وثروته:

وفى السطور الآتية يعترف فيها اليهودى اثامور ببعض جرائم سفك الدماء الذى ارتكبها مع سيده اليهودى براباس :

اثامور : لا أفعل شيئاً، ولكنى أعلم ما أعلم، إنه قاتل . (...) أنتما تعرفان (ماثياس) .. وابن الحاكم، لقد قتلناهما أنا وبراباس، دون أن نمسهما . (...) ٠٠ لقد حملت المرق الذى سمم الراهبات ؛ وقد قمت واياه بشنق راهب، بعد أن أوقعناه فى شرك (٢) .

- النفاق والتملق والتذلل

النفاق، التملق والتذلل سمات أساسية فى شخصية اليهودى"براباس"للوصول إلى غايته وأهدافه، وهى سمات طرحها كريستوفر مارلو فى أكثر من حدث من أحداث مسرحيته هذه، ففى حدث من الأحداث نرى براباس يطلب من ابنته ابيجيل أن تتقمص - بإتقان - شخصية فتاة متدينة وزاهدة فى الدنيا، وتذهب إلى رئيسة الدير وتتوسل إليها بلطف، وتحدثها بكلام معسول لا يخلو من النفاق والتملق، وأن ترتدى عباءة الدين مؤقتاً حتى تصل إلى هدفها، وهو الوصول إلى أموال وكنوز أبيها المخبأة فى الدير . واليهودى براباس لا يجد غضاضة فى الإعتراف بأن اليهود يتذللون كالكلاب إذا كان فى التذلل مصلحة ما :

براباس : (...) فنحن اليهود نستطيع أن نتذلل كالكلاب عندما نريد (...)(٣)

١ - حامد الحمود العجلان، العربى، عامر ذياب التميمى، مصدر سابق: ص ١٢٠ .
٢ - المصدر السابق: ص ١٥٥ .
٣ – المصدر السابق : ص ٨١ .

- **البخل**

البخل سمة أساسية فى اليهودى براباس، فهو عندما ذهب لشراء عبداً له ليساعده فى أعماله رفض أن يشترى عبداً ذو صحة جيدة حتى لا يلتهم كميات كبيرة من الطعام، وأخذ يبحث عن آخر بدنه ضعيف حتى لا يكلفه طعاماً كثيراً .

- **السرقة والرشوة**

يؤمن اليهودى براباس بأن السرقة والرشوة سبيلان شرعيان للغنى والعيش الأمن، حيث نراه يبحث عن عبد يجيد السرقة ليشتريه، وهو مستعد لدفع أى مبلغ فيه لأنه يعرف أنه سيعوضه عما دفع، كما يؤمن أيضاً أن الرشوة طريق قصير وفعال للوصول إلى الهدف :

براباس : ما هذا، وهل يتقن السرقة حتى تطلب هذا القدر ؟ ربما كان صاحب حيلة جديدة لنشل محافظ النقود، فإذا كان كذلك فإنه يساوى ثلاثمائة قطعة فضية (١) .

- **عدم الثقة فى الآخر**

اليهودى براباس لا يثق فى أحد، فهو يشك فى أى إنسان، فالشك عنده مبدأ، فعندما شرع فى شراء عبدٍ وعلم أن مهنته هى الحلاقة تراجع عن شرائه خوفاً من يقتله وهو يحلق له طمعاً فى سرقة أمواله":

براباس : ربما فى الأمر خديعة، فتحت ستار الحلاقة ربما تقطع حنجرتى طمعاً فى ممتلكاتى (٢).

- **تكفير الآخر**

اليهودى براباس يؤمن بأن كل ما هو غير يهودى يُعد كافراً، وهذا واضح فى أكثر من موضع فى هذا النص، فعندما تعجبت ابنته ابيجيل من طلبه لها أن تخدع لودوفيك وتدعى موافقتها على الزواج منه ؛ أقنعها أن هذا ليس عيباً أو حرامًا لأن لودوفيك مسيحى، وأن كل ما هو ليس يهودياً يعتبر كافراً، لا عيب ولا ذنب فى خداعه :

براباس : ليس إثماً أن تخدعى مسيحياً (...) وكل من لم يكن يهودياً فهو ملحد، إن هذا منطق سليم ولذلك لا تخافى يا ابنتى . (٣)

- **الجبن**

الجبن صفة من صفات اليهودى براباس، فعندما أرسل له اثامور ليطلب منه أموالاً لم يوافق إلا عندما عامله رسول اثامور بحدة .

---

١ - حامد الحمود العجلان، العربى عامر ذياب التميمى، مصدر سابق: ص ٨٦ .
٢ - المصدر السابق: ص ٨٧ .
٣ - المصدر السابق : ص ٩٩ .

- **الظلم**

عندما تولى براباس حكم مالطة لم يتوقع أهلها منه إلا الظلم الشديد تجاههم، لأنهم يعرفون أنه ظالم، بل شديد الظلم :

فرنيزى : لما كانت الأمور تحت سلطتك، يا براباس، فإنى لا أرى غير خراب مالطة ولا أرتجى منك إلا أشد الظلم (١)

- **الذكاء**

براباس شخص ذكي، واقعى، سريع البديهة فقد استطاع أن يتوقع أن الأسطول الحربى التركى ربما جاء إلى مالطة لمحاربتها بسبب التأخر عن دفع الجزية السنوية المفروضة على مالطة، وأن حاكم مالطة استدعاه ليأخذ منه ماله ليدفع الجزية المتأخرة عن المدينة، وأخذ الحيطة والحذر وخبأ معظم أمواله ومجوهراته أسفل سقف منزله .

- **منبوذة من الجميع**

صوَر مارلو اليهود فى هذه المسرحية بالشعب البغيض والمنبوذ والممقوت من الجميع، بسبب أفعالهم وتصرفاتهم التى تجلب المصائب والخراب لكل من يعاشرهم ويقترب منهم، ففى هذا النص نرى فرنيزى حاكم مالطة يوبخ اليهودى براباس، ويتهمه بأنه هو وأهله من اليهود سبب كل النوائب التى حلَت بشعب مالطة، كما يتمنى أن تحط عليهم اللعنة من السماء لأنهم جديرون بها :

فرنيزى : كلا أيها اليهودى .. ولكنكم تشاركون ككفار فقد عانينا كثيراً من عشرتكم البغيضة، أنتم يا من حقت عليكم لعنة السماء وبسببكم حلَت بنا كل نائبة فأثقلنا بالجزية (٢) .

- **عدم التورع فى استعمال الجنس – أى المرأة – للوصول إلى مآربهم :**

اليهودى براباس لم يتورع فى استخدام شرفة وعرضه – المتمثل فى ابنته – فى الوصول لأغراضه، فنراه يطلب من ابنته أن تلاطف لودوفيك وتعامله بدلال ولا مانع أن تمنحه القبلات والأحضان من أجل المصلحة:

براباس :عاملى لودوفيك ابن الحاكم بكل ما فى وسعك من لطف على أن تحتفظى بعفافك، (...) قبليه، تحدثى معه بكلام جميل، وانصبى له شباك يهودية ماكرة .

نتائج الدراسة :

- كشفت الدراسة عن أن تعصب اليهود لجنسهم وغدرهم وأنانيتهم وجشعهم ليست صفات مستحدثة، ولكنها صفات قديمة ولاصقة باليهود منذ نشأتهم وحتى الأن .
- عانت جميع الأمم التى عاش فيها اليهود من أفعال وتصرفات اليهود، مما جعل هذه الأمم تمقتهم وتنبذهم ومن ثم تطردهم شر طردة من أراضيها .

---

١ - حامد الحمود العجلان، العربى عامر ذياب التميمى، مصدر سابق: ص ١٧١ .

٢ - المصدر السابق : ص ص ٥٤ – ٥٥ .

- اليهود لا يتورعون فى استعمال الجنس – أى المرأة – للوصول إلى مآربهم . .
- اليهودى لا يقف فى سبيل تحقيق أهدافه وأطماعه أى عقبة من دين أو رحمة أو تقاليد أو أى مبدأ من المبادئ الإنسانية .
- يؤمن اليهودى إيماناً مطلقاً بنظرية الجنس السامى وأنه من سلالة سامية .
- من السمات المتأصلة فى اليهودى سمات : خيانة العهد والغدر الخداع والدهاء والمراوغة، البخل، الربا، عشق المال، الكذب، حب الذات، قسوة القلب وانعدام الرحمة، النفاق والتملق، سلوك الشيطان الشرير، يعشق الفتنة وتدبير المكائد والوقيعة بين الناس، الجحود وعدم الوفاء حتى لأهله، الجبن، والرشوة والسرقة، المصلحة الذاتية (الأنانية)، يكره المسيحيين والمسلمين بشكل عام ولا يثق فى الآخر.
- تعرض براباس إلى لون ما من ألوان الإضهاد الممقوت لأقلية دينية، حيث تعرض لمصادرة كل أملاكه من قبل حاكم المدينة لسبب اعتراضه على مطالبة سلطات المدينة أن يقوم اليهود – دون غيرهم – بدفع نصف ممتلكاتهم كضرائب للمدينة، وهذا يعد اضطهادا لأقليات دينية أيضاً .

توصيات الدراسة :

- توصى الدراسة القائمين على إدارة شئون البلاد بالإهتمام ببناء عقول المواطنين عن طريق تقديم فكر راقٍ وابداع حقيقى، والبعد عن تقديم الثقافة السطحية المبتذلة ؛ لأنها نوع من الإسراف لا مبرر له، كما توصى بتوعية المواطنين بأبعاد الشخصية اليهودية الحقيقية، ليعرفوا عدوهم الأول والأساسى فى هذا العصر .
- توصى الدراسة القائمين على إدارة شئون البلاد بالإستعداد للعدو اليهودى بما استطاعوا من قوة ؛ انتظاراً لمعركة قادمة – لا محالة – بيننا وبينهم، وأن يحذروا غدر العدو اليهودى.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- أحمد هاشم : المسرح الملحمى فى مصر (٤)، القاهرة، مجلة"أفاق المسرح"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد ١٢ يونية ١٩٩٩ .
- شكرى عبدالوهاب :النص المسرحى، القاهرة، دار فلور للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٠١
- عبدالوهاب المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، القاهرة، دار الشروق، ط ١.
- عصام الدين محمد حسن : جسر العودة .. حقوق اللاجئين الفلسطينيين فى ظل مسارات التسوية، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان .
- على الراعى : مسرح الشعب، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة
- كمال الدين حسين : مدخل لفنون المسرح، ط١ القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨م .
- لويس عوض : البحث عن شكسبير ٠٠ أنطونيو وكليوبطرة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧
- مدحت أبوبكر : محاولات تهويد الإنسان المصرى، القاهرة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٧.

المراجع المترجمة إلى العربية

- كريستوفر مارلو : يهودى مالطة، ترجمة : نصر عبدالرحمن، تقديم : زاخر غبريال، القاهرة، دار الكاتب العربى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، روائع المسرحيات العالمية، نصف شهرية، يوليو ١٩٦٧، العدد ٤٩ .
- جوزيبى بريتيزولينى : حياة نيكولو ماكيافيلى الفلورنسى ٠٠ ترجمة : طه فوزى، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٤
- لويس فارجاس: المرشد إلى فن المسرح، ترجمة : أحمد سلامة محمد، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥.
- مارى كارمن بوبيس : سيميولوجيا المسرح ٠٠ ترجمة : أحمد عبدالعزيز، القاهرة، دار النصر للتوزيع والنشر ، ٢٠٠٤، ط ١ .
- ألارداييس نيكول : المسرحية العالمية .. الجزء الثانى، ترجمة : محمود حامد شوكت، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
- الارديس نيكول : علم المسرحية، ترجمة : درينى خشبة، الكويت، دار سعاد الصباح، ط ٢، ١٩٩٢، ص .

المراجع الأجنبية:

- William Shakespeare : Macbeth , New Delhi , Seventh Edition , 1997 .

الدوريات :

- مجلة"الفنون الشعبية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العددان ٧٤/٧٥، أبريل – سبتمبر ٢٠٠٧.
- مجلة"العربى"، الكويت، وزارة الإعلام، العدد ٦٣٩، ربيع الأول ١٤٣٣ه ، فبراير ٢٠١٢م
- مجلة"العربى"، الكويت، وزارة الإعلام، العدد ٦٣٧، المحرم ١٤٣٣ه، ديسمبر ٢٠١١م.

- مجلة "المسرح"، تصدر عن مسرح الحكيم، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، هيئة الإذاعة والمسرح والموسيقى، العدد العاشر، أكتوبر، ١٩٦٤.

أولاً : الدراسات العربية:

- عبدالكريم قطب شحاته : السمات اليهودية فى روايات سول بيلو وبرنارد مالامود، رسالة ماجستير، ج.م.ع، جامعة المنيا، كلية الألسن، ٢٠٠٢ .
- فوزى إبراهيم عبد الهادى الحاج : صورة اليهودى فى المسرح العربى فى مصر، رسالة دكتوراه، القاهرة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، ١٩٨٨ .
- محمد أحمد أحمد إسماعيل :تصوير الشخصية الإسرائيلية فى الدراما التليفزيونية المصرية .. فى الفترة من ١٩٨٧ – ٢٠٠٣ م، رسالة دكتوراة، القاهرة، أكاديمية الفنون، المعهد العالى للنقد الفنى .
- محمد عصام أحمد محمد بهى : الشخصية الشريرة فى الأدب المسرحي، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٩٨٣ .
- محمد سيد طنطاوى : بنو إسرائيل فى القرآن والسنة، رسالة دكتوراة، القاهرة، جامعة الأزهر، ١٩٦٦ .

ثانياً : الدراسات الأجنبية :

- Donnalee, Dox: The Jew In Medieval English Drama , Ph.D, United States – Minnesota : University Of Minnesota; 1995 .
- Frances Schlamowitz : The Potrait Of The Jew In The Balzacian Novel , Ph.D United States, Lllinois, University Of Lllinois At Urbana - Champaign; 1980
- Stanley Fallis, Levine : The Jewish Presence In Pre-Revolutionary French Litrature . Ph.D , United States , California : Stanford University; 1984